



## صناعة أعلام رواد في الترجمة إلى العربية

بقلم د. أنيس الأبيض

شهد القرن التاسع عشر حركة واسعة في الترجمة الأجنبية إلى اللغة العربية شملت العديد من المؤلفات الأجنبية، وكانت طرابلس من بين المدن التي برز فيها أعلام رواد تميزت أعمالهم بكثير من الدقة والموضوعية للكتب التي قاموا بترجمتها. ذلك لأن الترجمة من لغة إلى لغة تقتضي الوقوف على مهارات ثقافية عالية، واكتساب لغات أجنبية تساعد على نقل المؤلفات الأجنبية وترجمتها بحرفية دقيقة إلى اللغة العربية.

وفي هذا السياق نذكر ما قام به بعض الأعلام الطرابلسيون الذين ترجموا بعض الكتب إلى اللغة العربية، ويأتي في مقدمة هؤلاء حكمت شريف الذي وقفنا على كتاب نقله من التركية إلى العربية وهو كتاب "المرأة الصحية في الأحكام الإسلامية" جعل له فاتحة يقول فيها: "حمدا لمن جعل الأحكام الإسلامية مرآة للصحة الإنسانية، فما أمر بشيء ونهى عن أمر إلا عن حكمة بالغة لا تقدر عقول البشر على إدارتها".

و"المرأة الصحية في الأحكام الإسلامية" هو عنوان رسالة باللغة العثمانية وضعت لبيان الأحكام الإسلامية ومطابقتها للقواعد الصحية من جهة علم الطب. ونظرا لما حوته تلك الرسالة البديعة من فرائد الفوائد وجليل العوائد، " فقد خامر فكري الفاتر أن

أُتِفل على مؤائد أهل الفضل وأُترجمها إلى اللغة العربية الشريفة بصورة توافق المقصود ولا تفقد رونقها التركي".

ثم ينتقل مترجم الرسالة إلى المقدمة، وفيها يذكر الأسباب التي حدثت إلى هذا العمل فيقول: " وعليه شمريت ساعد الغيرة إلى ترتيب وتأليف رسالة وإن كنت غير لائق لذلك وهي إثبات عادات وعقائد الدين الإسلامي المبين الجامع من كل الوجوه أساس ومندرجات فن الطب الجليل مع تقابل وتطبيق ذلك على الفن المذكور".

ثم يتابع مبينا أن فن الطب الأساسية مبنية على دفع مضرة العلل والأمراض التي يقبلها النوع البشري ويكون مستعدا لها".

ثم يورد أن من الأسباب الموجبة لهذه الرسالة هي تأثيرات الأمراض والعلل التي لا تعد ولا تحصى فيؤمن على وسائل حفظ الصحة وثمره الحياة المرجحة عن سائر متاع هذه الحياة الدنيا بأنواعها فيحصل بذلك كمال اللذة ويكون مظهرا لكثير من العادات الدنيوية.

أما نوفل نوفل فلقد ترجم بعض الكتب إلى اللغة العربية ككتاب " قوانين المجالس البلدية" وكتاب " أصل ومعتقدات الأمة الشركسية " وكتاب " دستور الدولة العلية ". مما حدا بالدولة العثمانية تشجيعا وتقديرا لهذا العمل إلى مكافئته بمبلغ ثلاث مائة ليرة عثمانية.

أما فريدة عطية فلقد كان لها باع أيضا في الترجمة إذ نقلت عن اللغة الإنكليزية كتاب أيام بومباي الأخيرة وهو مؤلف شيق.

أما أنيسة صبيعة التي يذكر عنها عبد الله نوفل أنها بعد أن أنهت علومها في طرابلس سافرت إلى إنكلترا ودرست الطب، وهي أول فتاة في الشرق الأدنى تنال الشهادة الطبية. بعد ذلك قامت بترجمة رواية كورين من اللغة الإنكليزية إلى العربية.

وهنا تقتضي الإشارة إلى أن بعض أبناء طرابلس ممن أتقنوا بعض اللغات الأجنبية كالفرنسية والإنكليزية قد شغلوا مناصب الترجمات في بعض القنصليات الأجنبية،

ومنهم على سبيل المثال: مخائيل حبيب الذي يذكر عنه عبد الله نوفل أنه كان ترجمانا لقنصلية أميركا، ويعقوب حبيب الذي كان ترجمانا لقنصلية بلجيكا، وجبرائيل حبيب الذي كان أديبا يحسن اللغتين العربية والفرنسية وشغل منصب الترجمان لقنصلية أميركا.

وبرز فرح أنطون كأحد الأوائل الطرابلسيين الذين غاصوا في أبواب الترجمة. إذ بعد تخرجه من معهد كفتين الأرثوذكسي كما جاء في كتاب مارون عيسى الخوري ملامح من الحركات الثقافية في طرابلس خلال القرن التاسع عشر " يخرج ابن الفيحاء حاملا زادا وافرا من اللغات والمعارف المختلفة ليكب من جديد على مطالعة تراث الفكر الغربي أدبا وعلماء وفلسفة " وهو يقول عن ذلك " لقد قرأت من الكتب في بضع سنين ما لا يقرأه الإنسان في مئة سنة " فلقد أكب على قراءة العديد من الروايات كرواية دumas الأكبر "

وغيرها من الروايات خاصة تلك التي تتحدث عن الثورة الفرنسية، فلقد قرأها أكثر من مرة وهو بعد في مدينة الفيحاء.

لقد ساعد اطلاع بعض أبناء الفيحاء وخاصة المسيحيون منهم على اللغات الأجنبية إلى جانب براعتهم باللغة العربية إنشاء وخطابة وشعرا على القيام بعملية الترجمة وهو دور مميز يقتضي التنويه به في تلك الفترة. كما أنه يعتبر امتدادا لدورهم في الأدب العربي. والذي يذكر مارون عبود أنه كان مقتصرًا على الترجمة قبل أن يستقيم لسانهم العربي، فكانوا في عصر النهضة العباسية تراجم الخلفاء وكذلك كانوا في فجر النهضة الحديثة.

وممن جال في هذا الميدان صموئيل يني الذي ترجم عن الفرنسية كتاب التمدن الحديث ووقعه باسم مستعار " الكتاب المحجوب " كما أنه قام بترجمة رواية البائسين الذي كتبها فيكتور هيغو باللغة الفرنسية. وقد عثر على الجزء الثاني من ترجمة هذه الرواية التي قسمها إلى عدة أقسام. ومما جاء في قسم ختام السرور " وبقيت العذارى لوحدهن فوقن اثنتين اثنتين في النوافذ متكآت عليها يتكلمن من النافذة الواحدة إلى

الأخرى. ثم رأين الشبان قد خرجوا من الحانة متخاصرين فرجعوا إلى الورااء  
وأومأوا بالإشارة للفتيان وهم ضاحكون وما عتم أن ساروا فغلغلوا بين جماهير  
الناس"

لقد أفسحت تلك الكتب التي ترجمها بعض الرواد الأعلام في مدينة الفيحاء إلى  
اللغة العربية المجال للوقوف على بعض ما كتبه الآخرون في شتى المواضيع الدينية  
والتاريخية ومكنتهم من تعميق معرفتهم بلغاتها إلى جانب القاعدة المعرفية التي  
حصلوا عليها من أعمال الترجمة..